حديقة الورود

في أخبار أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود

اسم كتاب ، ألف الجزء الأول منه الشيخ عبد الفتاح آل الشواف ، جمع فيه أخبار شيخه ، شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، صاحب « روح المعاني ، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » وأتمّ الجزء الثاني منه نجل المترجم السيد نعمان خير الدين الألوسي ، صاحب كتاب : « جلاء العينين في محاكمة الأحمدين » و « غالية المواعظ » أما الجزء الأول فيشتمل على (٣٨٣) صفحة طول الصفحة (٢٠) سنتيماً وعرضها (١٥) سنتيماً وتشتمل الصفحة منه على تسعة عشر سطراً ، بخط جلي جميل جداً . وقد استنسخ هذا الجزء السيد أحمد شاكر ، نجل أبي الثناء السيد محمود في صفر سنة ١٢٩٦ هـ ، أي بعد وفاة مؤلفه بنحو من أربع وثلاثين سنة .

وأما الجزء الثاني فيشتمل على (٢٨٥) صفحة على غرار صفحات الجزء الأول إلا أنه دونه في جودة الخط ، وفوقه في جمال الأسلوب وحسن التبويب والترتيب .

وقد تم نسخ هذا الجزء في ذي القعدة سنة ١٢٩٦ هـ . وهي السنة التي تم فيها تأليف هذا الجزء . ومن هذا يعلم ان هذه النسخة انما هي مبيضة لمسودّة الأصل .

والنسخة بجزئيها محفوظة في خزانة صديقنا السيد محمد درويش الألوسي حفيد أبي الثناء ، مدرس مدرسة السيد سلطان علي في بغداد .

وأسرة الشواف التي ينتمي إليها مؤلف الجزء الأول من هذا الكتاب من الأسر الكريمة في بغداد .

اشتهر من بين رجالها طائفة من أعلام الأدب ، من أشهرهم الشيخ عبد العزيز الشواف أحد أشياخ السيد محمود الألوسي . والشيخ طه الشواف — مفتي البصرة الأسبق — وكانت له قدم راسخة في العلوم الشرعية والآداب العربية .

وقد وقفت له على نظم أصيل يذكر بشعر الفحول من شعراء الصدر الأول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والشيخ عبد الفتاح ، إنما يمت الى هذه الأسرة من ناحية الخئولة ، أما أبوه (واسمه سعيد بن يوسف) فقد قيل لي إن اصله من نجد . وإنما عرف الشيخ عبد الفتاح وأخوه الشيخ عبد السلام بالانتساب إلى اخوالهما لمكانة شهرتها في العلم .

والشيخ عبد الفتاح احد تلاميذ أبي الثناء ، الذين لازموه وانتفعوا به . وكتابه هذا يدل انه كان ممن تعاطى الأدب . وشعره دون نثره في الجودة .

ومن امثلة شعره قوله من قصيدة طويلة رفعها الى شيخه الشهاب بعد غياب طويل ، مطلعها :

إلام أراني عنك في الدهر مبعدا ويمسي خليّ منك في الدهر مسعدا
وحتى متى هذا التجنب والقلى وقد غار طرفي والتصبر أنجدا

ومنها :

ملاذي شهاب الدين ذو الحلم والوفا ورب الحجا والصفح عمن قد اعتدى
هو العلم الفرد الذي فاق مفخراً وطاب نجاراً في الأنام ومحتدا

ومنها :

غدا من كتاب الله اذ رام كشفه لأسراره (روح المعاني) مجردا
هو البحر في فيض النوال لمجتدٍ وغيث مريع للذي كان اجهدا
له حسن خط لو رآه ابن مقلة لود له انسانه يجعل الفدا

أما مثال نثره فسيمر بك قريباً . وكانت وفاته في شوال سنة ١٢٦٢ بالهيضة .

ومن هذا يظهر انه توفي قبل وفاة شيخه بنحو من ثماني سنوات وأن ابا الثناء عهد باتمامه إلى ولده السيد نعمان خير الدين المذكور آنفاً .

وقد حشد الشيخ عبد الفتاح في الجزء الأول من هذا الكتاب — الكثير من أخبار ابي الثناء فبسط نسبه ، وذكر مقر أسرته في القديم والحديث ، ومشايخه ، وبعض اجازاته ، وتلاميذه ، وإجازات بعضهم . وبعض تآليفه ، والمراسلات التي ادرت بينه وبين فضلاء عصره في دار السلام وفي حواضر الاسلام . وفي ضمن ذلك : الأسئلة التي كانت ترد عليه والأجوبة التي تصدر عنه . والمناصب التي تدرج فيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأوسمة التي أحرزها . بل تبسط في أمور ليست بذات شأن ، مثل التقاريظ الكثيرة لكل تأليف من تآليفه والتهاني بولادة كل ولد من أولاده وكل منصب من مناصبه . وبكل رتبة حصل عليها ، وبشراء دار له وبإنشاء الشاذروان فيها . بل هناك تهانئ بشأن بعض الهدايا التي وصلت الى يده مثل التهانئ بكتاب الميزان للشعراني الذي أهداه إياه والي بغداد حينذاك . وبالسبورة التي اهداه اياها بعض افاضل الموصل .

على ان الكتاب ينطوي على اخبار مهمة يندر وجودها في غيره . وعلى مقطوعات شعرية ، ورسائل ادبية لم اقف عليها في ما عداه . وهي تمثل لنا ناحية من نواحي الأدب في العصر الثالث عشر الهجري .

فمن امثلة الأخبار وصفه الطاعون الجارف الذي منيت به بغداد في زمانه فأباد معظم اهلها .

وإلى القارئ نص ذلك الوصف :

« ... حدثت حادثة الطاعون ، التي اجرت من العيون العيون ، واضرمت في القلوب نار الشجون ، حيث جرد الدهر إذ ذاك خيول النوائب . وسنّ مواضيه لقرع الكتائب . وانتهب الأعمار فيا له من ناهب . وانتشر جمع الثريا فعاد الرجال بنات نعش . وتتابعت أهوال لو داناها ابن الطود لانهشّ . حتى بلغ السيل الزبى . وتفرق الكرام ايدي سبا . وبلغ الشظاظ الوركين . وجاوز الحزام الطبيين .

مصائب لو حلت بأكناف يذبل تدكدك ، او بالبحر اصبح غائضا

وذلك في السنة السادسة والأربعين ، بعد المائتين وألف ه وكان الطعن حينئذ خفيفاً خفياً جداً ثم كثر في شوال لخمس خلون منه . فلم يبق للخلائق حينئذ رشداً . ولكنهم بعدُ بين مكذب ومصدق ، وآمن ومرتعب ، ثم انتشر وتحققه الناس آخر الشهر ، ففر غالبهم الى كل قطر . وزادت في تلك السنة دجلة زيادة لم تقع سابقاً في غير الطوفان . وتهدمت بسببها البيوت والجدران . وكسرت السداد ، واحاط الماء ببغداد . ومن كثرة المياه في جوانب البلد ، واحتضانه اياها كالوالد العطوف للولد ، صار الرائي لا يرى غير الماء او السماء ، ولم يرج غير هجوم البلاء . ووقع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السور ، وتهدم من الجانبين نحو خمسة آلاف بل اكثر من الدور ، وبلغ حد من مات في كل يوم من ايام هذا الطاعون عشرة آلاف . او اكثر ظناً وتخميناً ، والا فقد فُقد المحصون ، ودفن الناس الجنائز في المساجد والبيوت حتى ملئوها . فلما كثر الموت جداً تركوا دفنها وملوها . فبقي الأموات مطروحين في الاسواق والطرقات . ومن بقي من الناس اذ ذاك لقي من معاناة الشدائد والمصائب . ومقاساة المحن والنوائب . ما يشيب النواصي ، ويزيل الروامي . وبعد ان هان الأمر في الجملة ، أُلقيتْ الموتى في دجلة يُجرّون من ارجلهم ويُخرجون اهون ما يكون من منازلهم وكثير منه تنفصل رجله عند ذلك الجر ، ثم تلتقي اوصاله المتفرقة في لجة ذلك البحر وذهبت اموال العالم بين الهدم والسرق والغرق والحرق . والحاصل انه اعترى بغداد وساكنيها في ذلك الطاغون ، من مزيد الانكاد والشجون ، ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، فانا لله وانا اليه راجعون . واستقام الأمر على تلك المحجة ، الى اولي ذي الحجة . فهان جداً ، بعد ان اهان حراً وعبداً . فالحمد لله تعالى والفضل له على ما قضاه على خلقه وانزله ... »

وهذا الوصف يدلك على أسلوب المؤلف في إنشاء كتابه الذي لايخرج أكثره عن هذا النمط : من الأساجيع المرصوصة ، والعبارات المرصوفة ، التي لا تخلو من التكرار الممل والتنطع الذي لا طائل تحته .

والى القارئ رسالة من إنشاء الشيخ محمد أمين المعروف بابن عابدين ، صاحب « رد المحتار على الدر المختار » المتوفى سنة ١٢٥٧ هـ — بعث بها إلى الشهاب الألوسي جواباً عن رسالة كان الألوسي قد كتبها اليه يطلب منه نسخة من حاشيته على الدر المختار ، ننقلها برمتها ليطلع القارئ الكريم على أسلوب علماء ذلك الزمان في مراسلاتهم الخاصة . وهو أسلوب تغلب عليه الصناعة البديعية ولا سيما الاسجاع والتوريات والجناس والطباق وما اليها . واليك الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن اوصل تحفة المطالب وبدائع صنائعها لطالب الرغائب وانعم بهداية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العقول وعناية الوصول ، الى معراج الدراية بغاية البيان . ونيل المواهب من منن الرحمن . فظهر بفتح القدير على العاجز الفقير رد المحتار ، لتنوير الأبصار واستخراج الدرّ المختار ، من البحر الرائق ، وتبيين الحقائق من كنز الدقائق . وكشف خزائن الأسرار محلى بدرر البحار . وغرر الأفكار بيمن ادلال من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى في المشهد الأعلى . والمعهد الأغلى صلى الله عليه صلاةً كان لها اهلاً وسلم سلاماً هو به أولى . وعلى آله معدن كل كرم وجود ، واصحابه الذين اعز بهم الوجود ما سلّت السحائب صوارم بروقها فوق رؤوس الأشجار وكست النسائم بزرّد خفوقها متون الأنهار .

وبعدُ ، فأهدي سلاماً يهزأ بفتيت المسك الأذفر ، وتحايا يفوق عبيرها نكهة العنبر ، الى فارس ميدان البلاغة الذي لم يبلغ احد في حليات السبق بلاغهُ ، مجمع البحرين وملتقى النيرين ، خلاصة اهل التنقيح والتوضيح ومغني اللبيب عن التصريح ، بالتلويح ، البحر العباب ، والحاوي لمنهج الصواب . روضة الآداب ، وبهجة الآراب ، سيدي الامام الأوحد ، والعلم المفرد ، محمود الأفعال ، ممدوح الأقوال ، لا زالت رماح اقلامه تأسر كل معنى انيق ، فتحرر كل لفظ رقيق ، وعساكر افهامه تجول في مهامه كل عويص ، وتيار كل غويص ، لتكسر جيوش المشكلات ، وتفتح حصون الخفيات ، ولا برحت اقلام الفتيا مورقة ببنانه مثمرة بكل حكم صحيح يجنى ببيانه هذا وقد ورد الكتاب ياقوتي المباني . جوهري الألفاظ والمعاني . فلله در انامل ذرت عنبر مداده . على صفحات قرطاسه ودرُ فطنة أطلعت من مشكاة بلاغتها نور نبراسه . ففي مختصره مطول المدح وفي تلخيصه ما يغني عن الحاشية والشرح حيث اشتمل على صفات منشيه الباهرة . لكنه رآها في غيرها ظاهرة . وقد أنبأ عن تشوّف جنابه السامي ، وتشوق فضله النامي . إلى استكتاب الحاشية التي هي قطرة من بحره . لتنال شرفاً برفعة قدره وأنى لها بكفء كريم مثله تزف اليه ، وبخاطب جليل تعرض لديه بين يديه فهي مقيمة في الخدر تنتظر صدور الأمر فتخرج من حجابها ، وتكشف عن نقابها وتفتخر على أترابها وتتباهى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على طلابها . وتحمد مولاها على ما أولاها ، والسلام الذي تأرجت نفحاته ، تعم ساحتكم ورحمة الله وبركاته . »

وهاك مثالاً من التهنئات التي كان يتلقاها أبو الثناء من شعراء عصره . وأدباء مصره في المناسبات المختلفة .

كتب اليه الشيخ أمين العمري مهنئاً اياه بانشاء مكتبة في داره :

تأمل هذه أم الكتاب بدت للعين مسفرة النقاب
أعد نظراً الى معنى حلاها ففيها منتهى العجب العجاب
ولا ترنو لغانية سواهـا فما حسن الغواني والكعاب
حوت في طيها روح المعاني لتنشر كل معنى مستطاب

وقد اثبت السيد نعمان — في الجزء الثاني — ما جدّ من الأحداث في السنين الثماني التي تلت وفاة الشواف ، وأعاد الكثير من الفصول التي أوردهـا في الجزء الأول مضيفاً اليها ما أهمله وباسطاً ما أجمله فأعاد ذكر النسب مبسوطاً وتوسع في ذكر المكاتبات التي دارت بين والده وبين علماء عصره — كما توسع في ذكر الاجازات التي أجازه بها بعض الأشياخ ، وذكر ثبتاً كاملاً بمؤلفاته ، وأضاف الى كل ذلك انتقاله الى جوار ربه والمراثي التي رثاه بها شعراء عصره وهي كثيرة واسلوبها تقليدي بحت .

وعلى الجملة فإن هذا الكتاب بجزأيه هو أشبه بمجموع منه بكتاب مرتب الأبواب منسق الفصول ، على انه مجموع مشتمل على كثير من المنثور والمنظوم الذي يندر وجوده في غيره ويصلح أن يكون صورة واضحة للحالة الأدبية في مدينة السلام في العصر الثالث عشر الهجري ، ولا يستغني مؤرخو الأدب العربي لهذا العصر عن الرجوع الى أمثاله .

وقد استخلص السيد نعمان خير الدين نجل الشهاب الألوسي — عليه الرحمة — الزُبدة منه وأودعها صدر الطبعة الأولى من روح المعاني .

(بغداد) طه الراوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net